مجلة العلوم الإسلامية الدولية

INTERNATIONAL ISLAMIC SCIENCES JOURNAL

eISSN: 2600-7096

AN ACADEMIC QUARTERLY PEER-REVIEWED JOURNAL

مجلة علمية محكمة ، ربع سنوية

Vol : 6 Issue : 3 Year : 2022

المجلد: 6 العدد: 3 السنة: 2022

في هذا العدد:

- العمل التطوعي في القرآن الكريم وأثره في الإصلاح النفسي
  تهاني بنت سالم أحمد باحويرث
- الأوامر والنواهي الأخلاقية في سورة الكهف: دراسة موضوعية تحليلية
  هند بنت محمد زاهد سردار
- دلالات الخير في ضوء القرآن الكريم
  شافع الحريري
- تنمية القيم الخُلقية في ضوء حادثة الإفك: دراسة موضوعية تحليلية
  عفاف عطية الله المعبدي
- حُرِّيَّة الامتثال للأمر الإلهي –مُصْطَلَحَات واستدلالات– دِراسَة نقديَّة في ضَوء القُرآن الكريم
  وليد بن عبد المحسن بن أحمد الغُمري
- حقيقة المعجزة في الكتاب والسُّنة
  زهرة شعبان سعيد المازني
- الموازنة بين الأصول والفروع في عموم المشترك اللفظي: دراسة تحليلية نقدية في ضوء مقررات المذاهب الأربعة
  عدنان بن زايد بن محمد الفهمي
- وقف الدواء: دراسة فقهية مقارنة
  مساعد بن عبدالرحمن علي آل جابر
- الأحكام التي يختلف فيها السفر الطويل والقصير في المذهب الحنبلي
  محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الشهري
- قاعدة الأعمى كالبصير واستثناءاتها: البيع والشراء نموذجًا
  أمل محمد ظافر العرجاني
- البعد الحضاري للفتح الإسلامي للقدس من خلال الدراسات الاستشراقية
  سلطانة بنت عمر بن ستر اللحياني
- شُبُهات المرجئة النقلية
  عبدالرحيم بن صمايل بن صويمل السلمي
- نظام الطبقات في الهندوسية وأثره على الهندوس وموقف كل من البوذية والإسلام منه
  عامر علي النعيمي
- أثر الجهل والهوى على تفكير المسلم من خلال مؤلفات ابن القيم
  عبدالرحمن محمد ربعين

تصدرها

PUBLISHED BY

كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية

FACULTY OF ISLAMIC SCIENCES
AL-MADINAH INTERNATIONAL UNIVERSITY

جامعة المدينة العالمية
Al-Madinah International University

eISSN 2600-7096

eISSN: 2600-7096
V.6, Issue. 3, Sep 2022

DEVELOPMENT OF MORAL VALUES IN THE LIGHT OF THE SLANDERING INCIDENT: A THEMATIC ANALYSIS STUDY

Afaf Attiyatallah Al-Moabadi
Associate Professor At The Faculty Of Dawah And Usuluddin – Umm Al Qura University
Kingdom Of Saudi Arabia – Makkah.
E-mail: aamoabadi@uqu.edu.sa

ABSTRACT
This research came to address the problem of the moral crisis experienced by many Muslims in the contemporary time, and there is no doubt that learning from the history and events, especially those mentioned in the Islamic sharia, remains its lasting impact on souls. this research seeks to develop the moral values through the slandering incident against Aisha May Allāh be pleased with Her and aims to reflect on the verses and hadiths of this incident, identify its implications to derive moral values from it and highlight the legitimate methods in the development of moral values and benefit from them in the evaluation of Ethics. By employing both inductive and analytical approaches. The study reached the following findings: (1) the slandering incident involved many great moral values that could reform the society: (2) the slandering incident is a great lesson for believers everywhere and at all times to benefit from it: (3) preserving the honor is an important purpose of the Islamic religion purposes and; (4) diversity of methods for developing moral values in the verses and hadiths of the slandering incident..
Keywords*:* Development, Values, Morals, Accident, Slandering.

eISSN: 2600-7096
المجلد 6، العدد 3، سبتمبر 2022م

تنمية القيم الخُلقية في ضوء حادثة الإفك: دراسة موضوعية تحليلية

عفاف عطية الله المعبدي

الأستاذ المشارك كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى المملكه العربيه السعوديه، مكه المكرمه

الملخص

جاء هذا البحث ليعالج مشكلة الأزمة الأخلاقية التي يعيشها كثير من المسلمين في الوقت المعاصر، ولا شك أن التعلم من المواقف والأحداث لا سيما المذكورة في شرع الله يبقى أثره مستديما في النفوس. يسعى هذا البحث لتنمية القيم الخلقية من خلال حادثة الإفك ضد السيدة عائشة رضي الله عنها، ويهدف إلى تدبر آيات هذه الحادثة وأحاديثها والوقوف على مدلولاتها لاستنباط القيم الخلقية منها، وإبراز الأساليب الشرعية في تنمية القيم الخلقية والاستفادة منها في تقويم الأخلاق. موظفا المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي. وكان من أبرز نتائج البحث أن حادثة الإفك انطوت على قيم خلقية عديدة وعظيمة يمكن من خلالها إصلاح المجتمع، وأن الحادثة تعد درسا أخلاقيا للمؤمنين في كل مكان وزمان يمكنهم الاستفادة منه، وأن حفظ الأعراض مقصد مهم من مقاصد الدين الإسلامي، كما تنوعت أساليب تنمية القيم الخلقية في آيات حادثة الإفك وأحاديثها.

الكلمات المفتاحية: تنمية، قيم، أخلاق، حادثة، الإفك.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فإن من أعظم المهام بناء الإنسان وتزكية نفسه؛ ولذا كانت أحد المهام الكبرى لنبي الأمة صلى الله عليه وسلم التي امتن الله بها على عباده قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤]،وهذا البناء لا يستوي على سوقه إلا بتنمية القيم؛ وأهمها بلا موارية القيم الخلقية التي اعتنى الوحي بتأسيسها في النفوس منذ نزوله جنبا إلى جنب مع تأسيس القيم العقدية، تلك القيم التي تجعل من الإنسان إنسانا.

ولقد تعدد ت طرق الشرع في تنمية القيم الخلقية في النفوس؛ فتارة بالأمر المباشر بها، وتارة بمدح فاعلها وذم تاركها، وتارة بالترغيب وأخرى بالترهيب، وتارة من خلال المواقف والأحداث والقصص؛ ولاريب أن تنمية القيم الخلقية من خلال المواقف له أثر أكبر في النفوس حيث تمر بالأحداث وتدرك قيمة الأخلاق بنفسها عيانا بيانا. وأحد أهم المواقف التي تم من خلالها تنمية القيم الخلقية لدى من عاشوا القصة –وكذا من جاء بعدهم– حادثة الإفك؛ تلك الحادثة العظيمة التي حصلت لبيت النبوة واختبر فيها إيمان المؤمنين ومدى التزامهم بالتقوى.

مشكلة البحث وتساؤلاته:

يعيش كثير من أفراد المجتمع المسلم المعاصر أزمة أخلاقية نظرا لمستجدات الحياة المعاصرة والبعد عن الدين ما يجعل من الأهمية بمكان العمل على تنمية القيم الخلقية لديهم، ولا شك أن التعلم بالمواقف والأحداث لاسيما المذكورة في شرع الله كتابا وسنة يبقى أثره مستديما في النفوس؛ فكان هذا البحث الذي يسعى لتنمية القيم من خلال حادثة الإفك، وهو يجيب عن عدد من التساؤلات هي:

1. ما المقصود بالقيم الخلقية؟ وما أهميتها؟
2. ما هي آيات حادثة الإفك؟ وما سبب نزولها؟
3. ما القيم الخلقية التي تضمنتها آيات وأحاديث حادثة الإفك؟
4. ما الأساليب الشرعية في تنمية القيم الخلقية من خلال آيات وأحاديث حادثة الإفك؟

أهداف البحث:

1- إيضاح المقصود بتنمية القيم وبيان أهميتها.
2- تعريف الإفك وذكر الوارد في شأنه.

3- بيان القيم الخلقية وأساليب تنميتها قي حادثة الإفك.

أهمية البحث:

تأتي أهمية البحث في أنه طريق لتحديد ومعرفة القيم الأخلاقية وأساليب تنميتها في النفوس من خلال حادثة عظيمة وجليلة هي حادثة الإفك ما يجعلها تثبت في النفوس وتنفع في إصلاحها.

منهج البحث:

اتبعت الباحثة المنهج الاستقرائي والتحليلي والاستنباطي؛ وذلك بتتبع الآيات والأحاديث الواردة في شأن حادثة الإفك ومن ثم تحليلها واستنباط ما فيها من قيم خلقية وأساليب تنميتها في نفوس المؤمنين.

الدراسات السابقة:

حادثة الإفك كانت موطن دراسة للباحثين إلا أن الباحثة لم تقف – حسب علمها-على بحث يعتني بموضوع تنمية القيم الخلقية من خلال حادثة الإفك على وجه الخصوص. ولعل أقرب دراسة هي:

- **بناء القيم لدى الإنسان في ضوء سورة النور**، د/ غالب الحامضي، بحث منشور على موقع الأكاديمية الأوربية للدراسات القرآنية ضمن بحوث مؤتمر منهج القرآن في بناء الإنسان.

وهذا البحث تناول استنباط القيم بأنواعها المختلفة من سورة النور كاملة ولم يختص بالقيم الخلقية ولا بآيات حادثة الإفك؛ فجاء تناوله لآيات حادثة الإفك ضمن مجموع آيات السورة، وتم استنباط قيمتين فقط منها وهي قيمة حفظ اللسان وقيمة الصفح والعفو. كما لم يتطرق البحث أبدا للحديث المرتبط بآيات الحادثة؛ وهو حديث الإفك الموضح لها بتفصيل. ومن نتائج هذه الدراسة أن سورة النور اهتمت بالأسرة اهتماما كبيرا وأحاطتها بسياج منيع من كل فحش وسوء، كما حثت على حفظ اللسان وعدم الخوض فيما لا نفع فيه.

أما هذه الدراسة فتتعمق في استنباط القيم الخلقية على وجه الخصوص ومن حادثة الإفك تحديدا بما نزل فيها من آيات وتعلق بها من أحاديث حتى أنه أمكن استنباط ما يزيد عن عشر قيم خلقية.

- **المضامين التربوية في القصص القرآني، قصة الإفك، وقصة أصحاب الحجر، وقصة أصحاب الجنة**، د/ نوال مهدي محمد، رسالة دكتوراه، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي في جامعة أم درمان بالسودان، 2017م.

هدفت الرسالة إلى استنباط القيم التربوية من خلال القصص المحدد في عنوان الرسالة، وأحد هذه القصص قصة الإفك وأحد القيم المستنبطة الاعتناء بالأخلاق، ومن نتائج الدراسة المتعلقة بقصة الإفك أن هذه القصة تضمنت التربية على حسن الظن وحفظ اللسان والعفة ونبذ التبرج.

وهذه الدراسة كما هو ظاهر لم تختص بجانب القيم الخلقية وإنما وردت عرضا ضمن قيم تربوية عديدة ولذلك تم استنبط 4 قيم خلقية فقط منها بينما هذا البحث يتعمق في استنباط كافة القيم الخلقية التي تضمنتها حادثة الإفك على وجه الخصوص حتى زاد ما تم استنباطه عن عشر قيم يجب تنميتها لدى المسلم.

المبحث الأول

المقصود بتنمية القيم الخلقية وأهميتها

المطلب الأول: المقصود بتنمية القيم الخلقية:

- **التنمية:**

لغة: يقال: نما الشيء: ازداد؛ ككثُر؛ ونَما المالُ وغيره يَنْمي نَماءً، وربما قالوا يَنْمو نُمُوًّا، وأنماه الله، زاده، ونميت الشيء على الشيء: رفعته[1]؛ فالتنمية في المعاجم "الزيادة والارتفاع".

اصطلاحا: لا يخرج المعنى الاصطلاحي للتنمية عن معناها اللغوي وهو زيادة الشي وارتفاعه.

وتعرف التنمية اصطلاحا بحسب ما تضاف إليه؛ فالتنمية الاقتصادية: العمليّة الهادفة إلى تعزيز نموّ وزيادة اقتصاد الدّول؛ وذلك بتطبيق العديد من الخُطط التطويريّة، التي تجعلها أكثر تقدُّماً وتطوّراً، ممّا يؤثّر على المجتمع تأثيراً إيجابيّاً، عن طريق تنفيذ مجموعةٍ من الاستراتيجيّات الاقتصاديّة الناجحة[2]، والتنمية التربوية: رفع وزيادة مستوى المهارات المطلوبة للإنجاز[3].وهكذا.

- **القيم:**

لغة: واحدها قيمة، وأصلها من "قوّم" أي: عدل وأقام، يقال: قوّم الشيء: جعله يستقيم ويعتدل، وقوّم السلعة: قدّر ثمنها وسعّرها. وقوّمت الشيء فهو قَويمٌ، أي مُستَقيمٌ. وفي القرآن: ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة :5] أي: المِلَّة الحنيفية المستقيمة. والقوامُ: العَدْلُ. قال تعالى: ﴿وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾ [الفرقان :67]، وقوام كل شيء عماده ونظامه[4].

اصطلاحا: عرفت القيم بعدة تعريفات منها:

---

[1] الجوهري، إسماعيل بن حماد، **الصحاح**، ج 6 ص 2515؛ ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، ج3 ص 592.

[2] الشريف، ماهر، **التنمية الاقتصادية والاجتماعية**، الموسوعة العربية، ج 1ص 219.

[3] حنا، رمزي كامل، **معجم المصطلحات التربوية**، ص 1107.

[4] الجوهري، **الصحاح**، ج 5ص 2017، الراغب، الحسين الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ص، عبد الحميد، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ج 3ص 1877.

- أنها:"كل صفة ذات أهمية لاعتبارات نفسية واجتماعية وأخلاقية تتسم بالجماعة "[1].
- وقيل: " هي ما يعتز به الفرد في نفسه وفيمن حوله، وكذلك ما يعتز به في مجتمعه وأمته وثقافته "[2].
- وقيل: معايير أو مقاييس نستخدمها في إصدار أحكامنا على الشيء سواء كان إيجابا أم سلبا، مريحا أم مزعجا[3].

- **الخُلق:**

لغة: قال ابن فارس:" الخاء واللام والقاف أصلان: أحدهما تقدير الشيء، والآخر ملاسة الشيء. فأما الأول فقولهم: خَلَقْتُ الْأَدِيمَ لِلسِّقَاءِ، إِذَا قَدَرْتَهُ..... ومن ذلك الْخُلُقِ، وهي السَّجِيَّةُ، لأنَّ صاحبه قد قُدِّرُ عليه. وفلانٌ خَلِيقٌ بكذا، وأخْلِقْ به، أَي ما أَخْلَقَهُ، أَي هو ممن يُقَدَّرُ فيه ذلك. والْخَلَّاقُ: النَّصِيبُ ; لأنه قد قُدِّرَ لكل أحد نصيبُه "[4].

وفي لسان العرب:" الخُلق، بضم اللام وسكونها: هو الدين والطبع والسجية، وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخَلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة، والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة، ولهذا تكررت الأحاديث في مدح حسن الخلق في غير موضع"[5].

اصطلاحا:

أفضل من عرف الخُلق اصطلاحا الجرجاني، حيث قال: "الخُلق: عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلًا وشرعًا بسهولة، سميت الهيئة: خلقًا حسنًا، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة، سميت الهيئة: خلقًا سيئًا"[6].

- **القيم الخلقية: عرفت** بأنها:

---

[1] رفعت، سارة محمد، **أهمية القيم الأخلاقية**، ص 367

[2] زاهر، ضياء الدين، **القيم والمستقبل –دعوة للتأمل– مستقبل التربية العربية**، ص 203.

[3] رفعت، **أهمية القيم الأخلاقية**، مرجع سابق، ص 371

[4] ابن فارس، أحمد بن زكرياء، **مقاييس اللغة**، ج2 ص 113، 114.

[5] ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، ج8 ص 86-87.

[6] الجرجاني، علي بن محمد، **التعريفات**، ص 101.

-" مجموعة من الأفكار المجردة التي يستخدمها الفرد لضبط سلوكه وتحديده وتوجيهه، تساعده في جعله أكثر تكيفا مع مجتمعه ونفسه[1]".

- وقيل: " هي وحدات لميزان الخُلق، والخلق ما جاء عن الدين"[2].

- وقيل: معايير وأحكام مصدرها الشرع، وعلى الفرد الالتزام بها؛ حيث توجه سلوكه إلى الفضائل يمارسها وإلى الرذائل يتجنبها، لإحداث التوازن والرقي في نفسه ومجتمعه[3].

- **تنمية القيم الخُلقية:**

يقصد بها في البحث: زيادة وارتفاع مستوى القيم الخُلقية لدى المسلم بما يحقق التوافق مع دينه ونفسه ومجتمعه.

المطلب الثاني: أهمية تنمية القيم الخُلقية:

لا موارية أن العمل على تنمية القيم الخُلقية -لاسيما لدى المسلم- له أهميته لما تحققه هذه القيم من مكاسب عديدة له، فالقيم الخُلقية طريق المسلم للعبودية، فمثلما تعبده الله بتحقيق التوحيد والقيام بالشعائر كذلك تعبده وأمره بأحسن الأخلاق والبعد عن رذائلها في آيات وأحاديث لا حصر لها؛ ورتب على ذلك الثواب والعقاب، قال عز شأنه: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ﴾ [الانفطار: 13-14]. بل كانت العناية بتنمية الخُلق أحد أهم مقاصد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، ففي الحديث: (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)[4]،وما أن يسير في طريق العبودية حتى يتحقق له مكسب آخر هو **مرضاة الله وحبه** ، قال الله تعالى: ﴿**وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ** ﴾ [آل عمران :134]، وقال- سبحانه- في إثبات رضاه عمن تحلى بالصدق في القول والعمل:

﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [المائدة :119].وكذا من المكاسب نيل **حب النبي صلى الله عليه وسلم وقربه**؛ ففي الحديث:(إن

---

[1] خليفة، عبد اللطيف، **ارتقاء القيم (دراسة نفسية)**، ص .15

[2] السيد، إبراهيم عبد الصمد، **برنامج في تعليم القيم**، ص 65.

[3] مرعي، أحمد محمد، **القيم الخلقية الإسلامية**، ص 61.

[4] أخرجه أحمد في **مسنده**، ح رقم (8939)؛ والحاكم في **مستدركه** ج2ص670، والبخاري في **الأدب المفرد**، ح (273). قال الهيثمي في **مجمع الزوائد** ج8 ص 191: رجاله رجال الصحيح. وقال البوصيري في **إتحاف الخيرة**، ج7ص 69: صحيح على شرط مسلم. وصححه السيوطي في **الجامع الصغير**، ح رقم (2584).

أحبكم إلي و أقربكم مني أحاسنكم أخلاقا)[1].كما أن **القيم الخُلقية تحقق إنسانية الفرد وخيريته وكرامته؛** لأنه بها يفرق عن البهائم، ولأنها توافق فطرته التي فطره الله عليها؛ ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ [الروم :30]، "وفطرة الله هاهنا بمعنى دين الله"[2]الذي يشمل العقيدة والشريعة والأخلاق. وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم : (إن خياركم أحاسنكم أخلاقا)[3]؛ فمن كان حُسن الخلق فيه أكثر كانت خيريته أكثر[4].ثم إن تنمية القيم الخُلقية هي سبيل الفلاح ومورد السعادة، وكم من آية ربطت بينهما في وضوح، قال الله تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا**﴾ [الشمس :9]، أي: قد أفلح من زكى نفسه بطاعة الله وطهرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل[5].

وتنمية القيم الخلقية للفرد تنعكس ولابد على المجتمع؛ فإنسانية المجتمعات بإنسانية أفرادها، وسعادتها بسعادتهم، ونهوضها بنهوضهم؛ "فالتقدم يكون نتيجة سيادة الأمن والاستقرار في المجتمع، ولا يتحقق هذا وأمثاله إلا بانتشار الأخلاق والروح الخيرة والتعاون المثمر والقيام بالواجبات والأعمال والصناعات كما ينبغي ويجب"[6].

وتنمية القيم الخلقية أيضا تعد سياجا للمجتمع وأفراده من أخطار التعرض للمذاهب الوافدة والأفكار الهدامة وألوان الفساد[7].

المبحث الثاني

تعريف الإفك وذكر الوارد في شأنه

المطلب الأول: تعريف الإفك.

لغة: "(الإِفْكُ): الكذب، وقد أَفَكَ يَأْفِكُ -بالكسر-، وَرَجُلٌ (أَفَّاكٌ) أَي: كَذَّابٌ، وَ(الْأَفْكُ) -بالفتح - مَصْدَرُ (أَفَكَهُ) أَيْ: قَلَبَهُ وَصَرَفَهُ عن الشيءِ. ومنه قوله تعالى:﴿ **قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا**﴾ [الأحقاف: 22]، و(أَتَفَكَتِ) البلدةُ بأهلها: انْقَلَبَتْ، و (الْمُؤْتَفِكَاتُ): المدن التي قَلَبَهَا الله تعالى على قوم لوط. وَالْمُؤْتَفِكَاتُ

---

[1] أخرجه الترمذي في **سننه**، ح رقم (2018) وحسنه، وصححه الألباني في **صحيح سنن الترمذي**، برقم (1642)، وأخرجه البيهقي في **شعب الإيمان**، ح رقم (4696)، وابن وهب في **الجامع**، ح رقم (454).

[2] السمعاني، منصور بن محمد، **تفسير القرآن**، ج 4 ص 210.

[3] أخرجه البخاري في **صحيحه**، ح رقم (6035) واللفظ له، ومسلم في **صحيحه**، ح رقم (2321/68).

[4] المناوي، زين الدين محمد، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، ج2 ص 464.

[5] ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، ج 8ص 400.

[6] يالجن، مقداد، **علم الأخلاق الإسلامية**، ص 10

[7] انظر: رفعت، **أهمية القيم الأخلاقية**، ص 397

أيضا: الرياح التي تختلف مَهَابُّهَا. وَ (الْمَأْفُوكُ) الْمَأْفُونُ: وَهُوَ ضعيف العقل والرأي. قال تعالى: ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾﴾ [الذاريات: 9]، أي: يُؤْفَنُ عَنْهُ مَنْ أُفِنَ"[1].

اصطلاحا: "الإفك: كل مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه"[2]. والإفك: الكذب والبهت والافتراء[3].وقال السمعاني: "الإفك هو أشد الكذب، وإنما سمي إفكا لأنه مصروف عن الحق"[4]. وفي التحرير والتنوير:" الإفك: اسم يدل على كذب لا شبهة فيه فهو بهتان يفجأ الناس"[5].

والمراد به هنا: هو الكذب فيما رُميت به أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها-إجماعا [6]، وهو "حديث اختلقه المنافقون، وراج عند المنافقين ونفر من سذج المسلمين؛ إما لمجرد اتباع النعيق، وإما لإحداث الفتنة بين المسلمين"[7].

وإنما سمي فعلهم (إفكا)؛ لأن "عائشة- رضي الله عنها- كانت تستحق الثناء بما كانت عليه من الحصانة وشرف السبب والنسب لا الرمي والقذف، فالذين رموها بالسوء قد قلبوا الأمر عن وجهه، فهو إفك قبيح وكذب ظاهر"[8].

المطلب الثاني: ماورد في شأن الإفك من الآيات والأحاديث:

نزل في حادثة الإفك آيات تتلى من سورة النور هي قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ 9مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ 2مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا 3وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ

---

[1] الرازي، محمد بن أبي بكر، **مختار الصحاح**، ص 19.

[2] المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، ص 57.

[3] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، مرجع سابق، ج6 ص 16.

[4] السمعاني، **تفسير القرآن**، ج3 ص 509.

[5] ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، **التحرير والتنوير**، ج 18 ص 169.

[6] انظر: الرازي، محمد بن عمر، **مفاتيح الغيب**، ج 22 ص 332.

[7] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مرجع سابق، ج 18 ص 170.

[8] الواحدي، علي بن أحمد، **التفسير البسيط**، ج 16 ص152

[9] عصبة: جماعة، وهي من عشرة إلى أربعين عند جمهور أهل اللغة، وعن ابن عباس أنها من ثلاثة إلى عشرة، وذهب إليه بعض أهل اللغة. وذكر "عصبة" تحقيرا لهم ولقولهم، أي لا يُعبأ بقولهم في جانب تزكية جميع الأمة لمن رموهما بالإفك انظر: ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، **غريب القرآن**، ص 212، ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، ج1ص 605، ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج 18ص 171.

بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ [4] فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ [5] بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ [6] ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ [النور: 11-20].

قال ابن كثير- رحمه الله-:" هذه العشر آيات كلها نزلت في شأن عائشة أم المؤمنين- رضي الله عنها- حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البهت والفرية التي غار الله عز وجل لها ولنبيه -صلوات الله وسلامه عليه-، فأنزل الله تعالى براءتها صيانة لعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم "[7].

وسبب نزول هذه الآيات ما جاء عن عائشة أنها قالت:

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا، خَرَجَ بِهَا مَعَهُ، فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزَاةٍ[8] غَزَاهَا، فَخَرَجَ سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَهُ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الحِجَابُ، فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجٍ[9]، وَأُنْزَلُ فِيهِ، فَسِرْنَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ، وَقَفَلَ[10] وَدَنَوْنَا مِنَ المَدِينَةِ

---

[1] "أي: جماعة منتسبون إليكم يا معشر المؤمنين؛ منهم المؤمن الصادق في إيمانه، ولكنه اغتر بترويج المنافقين، ومنهم المنافق". السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن**، ص 563.

[2] (كبره) بضم الكاف: معظمه، وبالكسر: البداءة بالإفك، وقيل: من تولى الإثم في ذلك. انظر: الزجاج، إبراهيم بن السري، **معاني القرآن وإعرابه**، ج4 ص 35، أبو حيان، محمد بن يوسف، **البحر المحيط**، ج8ص21.

[3] أي ظنوا بأمهاتهم خيرا؛ وقيل: بأخوتهم؛ وقيل: بأهل دينهم، وجعلهم كأنفسهم؛ لأن المؤمنين كنفس واحدة. انظر: ابن الجوزي، محمد بن علي، **زاد المسير**، ج3ص 284.

[4] لمسكم فيما أفضتم فيه: أي لأصابكم فيما قلتم وخضتم فيه من القذف. انظر: مقاتل بن سليمان، **تفسير مقاتل**، ج3 ص 190، والسمعاني، **تفسير القرآن**، مرجع سابق، ج3ص511.

[5] تلقونه: يلقيه بعضكم إلى بعض على عواهنه. انظر: الزجاج، **معاني القرآن**، ج4 ص 36،

[6] بهتان: "كذب يبهت سامعه لفظاعته". الراغب، **المفردات**، مرجع سابق، ص 148.

[7] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، مرجع سابق، ج6 ص 16.

[8] هي غزوة بين المصطلق وتسمى المريسيع، وقد كانت في شهر شعبان سنة خمس على الصحيح. انظر: النووي، محي الدين زكريا، **المنهاج شرح صحيح مسلم**، ج17ص109-110؛ ابن حجر، أحمد بن علي، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج8ص458.

[9] الهَودَج: محمل له قبة تستر بالثياب ونحوه، يوضع على ظهر البعير، تركب عليه النساء ليكون أستر لهن. ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج8ص458.

[10] قفل: رجع من غزوته. **المرجع السابق** الموضع نفسه.

آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ[1]، فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ، فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ[2]، فَلَمَسْتُ صَدْرِي، فَإِذَا عِقْدٌ لِي مِنْ جَزْعِ أَظْفَارٍ[3] قَدِ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ، فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي، فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ، فَأَقْبَلَ الَّذِينَ يَرْحَلُونَ لِي، فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي، فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يَثْقُلْنَ وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ، وَإِنَّمَا يَأْكُلْنَ العُلْقَةَ مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ القَوْمُ حِينَ رَفَعُوهُ ثِقَلَ الهَوْدَجِ، فَاحْتَمَلُوهُ وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَبَعَثُوا الجَمَلَ وَسَارُوا، فَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ الجَيْشُ، فَجِئْتُ مَنْزِلَهُمْ وَلَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ، فَأَمَمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ بِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونَنِي، فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ غَلَبَتْنِي عَيْنَايَ، فَنِمْتُ وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ المُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ[4] مِنْ وَرَاءِ الجَيْشِ[5]، فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي، فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ، فَأَتَانِي وَكَانَ يَرَانِي قَبْلَ الحِجَابِ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فَوَطِئَ يَدَهَا، فَرَكِبْتُهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الجَيْشَ بَعْدَ مَا نَزَلُوا مُعَرِّسِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ[6]، فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى الإِفْكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ[7]، فَقَدِمْنَا المَدِينَةَ، فَاشْتَكَيْتُ بِهَا شَهْرًا وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ[8] مِنْ قَوْلِ أَصْحَابِ الإِفْكِ، وَيَرِيبُنِي فِي وَجَعِي، أَنِّي لاَ أَرَى مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَمْرَضُ، إِنَّمَا يَدْخُلُ فَيُسَلِّمُ، ثُمَّ يَقُولُ: (**كَيْفَ تِيكُمْ؟**)، لاَ أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى نَقَهْتُ[9]، فَخَرَجْتُ أَنَا وَأُمُّ

---

[1] أي: أعلم بالمسير، والمعمول به أن الجيش يستعد للرحيل بعد الإعلام، فيكون بين الإعلام والرحيل وقت يكفي لقضاء حاجة المسافر ونحوها. المباركفوري. صفي الرحمن، **منة المنعم شرح صحيح مسلم**، ج٤ص283.

[2] الرحل: المنزل، أي رجعت إلى المكان الذي كانت نازلة فيه. ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج8 ص 459.

[3] الجَزْع: خرز معروف في سواده بياض وليس أصلب منه، و(أظفار): جمع ظفر، وهو أحد أنواع القسط وهو طيب الرائحة يتبخر به. وفي رواية (ظفار): مدينة باليمن كان يجلب منها الجَزْع. الهرري، محمد الأمين بن عبد الله، **الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم**، ج 25ص 299.

[4] صفوان بن المعطل بن ربيعة – وقيل رحضة– السلمي الذكواني، أبو عمرو، سكن المدينة وشهد الخندق والمشاهد، ويقال: أول مشاهده المريسيع، أثنى عليه النبي ﷺ في حديث الإفك، قتل في غزوة أرمينية سنة (19هـ) في خلافة عمر رضي الله عنهما، وله بضع وستين سنة، وقيل: إنه غزا الروم في خلافة معاوية فاندقت ساقة ثم لم يزل يطاعن حتى مات، وذلك في سنة (58هـ) والله أعلم. انظر: البغوي، أبو القاسم، **معجم الصحابة**، ج3ص226-227؛ ابن حجر، أحمد بن علي، **الإصابة في تمييز الصحابة**، ج 3 ص 250.

[5]

[6] أي: نازلين نصف النهار والمعروف أن التعريس نزول آخر الليل. ابن الملقن، عمر بن علي، **التوضيح لشرح الجامع الصحيح**، ج16 ص 575.

[7] عبد الله بن أبي من مالك الخزرجي، أبو الحباب، المشهور بابن سلول، وسلول جدته لأبيه، من خزاعة: رأس المنافقين في الإسلام. من أهل المدينة. كان سيد الخزرج في آخر جاهليتهم. وأظهر الإسلام بعد وقعة بدر تقية، ألبسه النبيﷺ قميصه، ولما مات صلى عليه واستغفر له إكراما لولده؛ فنزل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [التوبة:84]. مات سنة تسع. بامخرمة، الطيب بن عبد الله، **قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر**، ج1ص 265.

[8] أي: يخوضون فيه ويكثرون. النووي، **المنهاج**، مرجع سابق، ج 17 ص 106.

[9] نقهت: بفتح القاف وقد تكسر، نَقِه المريض ينقَه فهو نَاقِه، إذا برأ وأفاق، وكان قريب عهد بالمرض، لم يرجع إليه كمال صحته وقوته. ابن الأثير، المبارك بن محمد، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ج5ص111.

مِسْطَحٍ[1] قِبَلَ المَنَاصِعِ[2] –مُتَبَرَّزُنَا– لاَ نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الكُنُفَ[3] قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا، وَأَمْرُنَا أَمْرُ العَرَبِ الأُوَلِ فِي البَرِّيَّةِ أَوْ فِي التَّنَزُّهِ، فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ بِنْتُ أَبِي رُهْمٍ نَمْشِي، فَعَثَرَتْ فِي مِرْطِهَا[4]، فَقَالَتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ[5]، فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتِ، أَتَسُبِّينَ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا، فَقَالَتْ: يَا هَنْتَاهْ[6]، أَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالُوا؟ فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الإِفْكِ، فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَى مَرَضِي، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، فَسَلَّمَ فَقَالَ: (**كَيْفَ تِيكُمْ؟**)، فَقُلْتُ: ائْذَنْ لِي إِلَى أَبَوَيَّ، قَالَتْ: وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا، فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِصلى الله عليه وسلم ، فَأَتَيْتُ أَبَوَيَّ فَقُلْتُ لِأُمِّي: مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ؟ فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّةُ هَوِّنِي عَلَى نَفْسِكِ الشَّأْنَ، فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتِ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ[7] عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا وَلَهَا ضَرَائِرُ، إِلَّا أَكْثَرْنَ عَلَيْهَا، فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَقَدْ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِهَذَا، قَالَتْ: فَبِتُّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لاَ يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ، وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الوَحْيُ[8]، يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، فَأَمَّا أُسَامَةُ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الوُدِّ لَهُمْ، فَقَالَ أُسَامَةُ: أَهْلُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلاَ نَعْلَمُ وَاللَّهِ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَسَلِ الجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَرِيرَةَ[9]، فَقَالَ: (**يَا بَرِيرَةُ هَلْ رَأَيْتِ فِيهَا شَيْئًا يَرِيبُكِ؟**)، فَقَالَتْ بَرِيرَةُ: لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، إِنْ رَأَيْتُ مِنْهَا أَمْرًا أَغْمِصُهُ[10] عَلَيْهَا قَطُّ،

---

[1] أم مسطح بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف القرشية، وهي ابنة خالة أبي بكر الصديق، أمها بنت صخر بن عامر، يقال اسمها سلمى بنت صخر. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ج3ص١٢٢٤.

[2] هي المواضع التي يُتَخَلَّى فِيها لقضاء الحاجة، واحدها: مَنْصَعَ؛ لأنه يُبْرَزُ إليها ويُظهر. ابن الأثير، **النهاية**، مرجع سابق، ج5 ص 65.

[3] الكُنُف –بضمتين–: جمع كنيف، وهو الساتر مطلقا، والمراد به هنا: مكان قضاء الحاجة في الدُور. الخطابي، حمد بن محمد، **غريب الحديث**، ج2ص 576؛ ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج8 ص 465.

[4] الْمِرْطُ: كِسَاءٌ مِنْ صُوف وقد يكون من غيره. النووي، **المنهاج**، مرجع سابق، ج17 ص 107.

[5] مسطح بن أثاثة بن عباد بن عبد المطلب القرشي المطلبي، أبو عباد، شهد بدرا، وكان ممن خاض في الإفك، فجلدة النبي فيمن جلد، قيل: إن مسطحا لقبه واسمه عوف، توفي سنة أربع وثلاثين، وقيل: شهد صفين وتوفي سنة سبع وثلاثين. ابن عبد البر، **الاستيعاب**، مرجع سابق، ج4 ص 1472.

[6] هنتاه: أي يا هذه، وتفتح النون وتُسكّن، وتضم الهاء الآخرة وتُسكّن، وقيل: معناها: يا بلهاء، كأنها نُسبت إلى قلة المعرفة بمكايد الناس وشرورهم. ابن الأثير، **النهاية**، مرجع سابق، ج5 ص 280.

[7] أي: حسنة جميلة. ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج8 ص 467.

[8] استلبث الوحي، أي: أبطأ ولبث. النووي، **المنهاج**، مرجع سابق، ج 17 ص 108.

[9] بريرة مولاة عائشة بنت أبي بكر الصديق، كانت مولاة لبعض بني هلال، وقيل: كانت مولاة أناس من الأنصار فكاتبوها ثم باعوها من عائشة فأعتقتها. جاء الحديث في شأنها بأن (الولاء لمن أعتق) وعتقت تحت زوج فخيرها رسول الله ﷺ فكانت سنة. ابن عبد البر، **الاستيعاب**، مرجع سابق، ج4ص 1795.

[10] أغمِصُه عليها: أي أعيبها به وأطعن به عليها. ابن الأثير، **النهاية**، مرجع سابق، ج3ص386.

أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنِ العَجِينِ، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ[1] فَتَأْكُلُهُ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ يَوْمِهِ، فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِصلى الله عليه وسلم : (مَنْ يَعْذُرُنِي[2] مِنْ رَجُلٍ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي)، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ[3]، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا وَاللَّهِ أَعْذُرُكَ مِنْهُ إِنْ كَانَ مِنَ الأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا، فَفَعَلْنَا فِيهِ أَمْرَكَ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ[4] – وَهُوَ سَيِّدُ الخَزْرَجِ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا وَلَكِنِ احْتَمَلَتْهُ الحَمِيَّةُ[5] – فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ، لاَ تَقْتُلُهُ، وَلاَ تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ، فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ[6] فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَنَقْتُلَنَّهُ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ المُنَافِقِينَ[7]، فَثَارَ الحَيَّانِ الأَوْسُ، وَالخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا، وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى المِنْبَرِ، فَنَزَلَ، فَخَفَّضَهُمْ حَتَّى سَكَتُوا، وَسَكَتَ وَبَكَيْتُ يَوْمِي لاَ يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ، وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، فَأَصْبَحَ عِنْدِي أَبَوَايَ، وَقَدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا حَتَّى أَظُنُّ أَنَّ البُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي، قَالَتْ: فَبَيْنَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي، وَأَنَا أَبْكِي، إِذِ اسْتَأْذَنَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَأَذِنْتُ لَهَا،

---

[1] الدّاجن: الشاة التي تألف البيت ولا تخرج للمرعى، ومعنى هذا الكلام أنها بريئة من العيب. انظر: النووي، **المنهاج**، مرجع سابق، ج17 ص 109؛ ابن الأثير، **النهاية**، مرجع سابق، ج 2 ص 102.

[2] "قال الخطابي يحتمل أن يكون معناه من يقوم بعذره فيما رمى أهلي به من المكروه، ومن يقوم بعذري إذا عاقبته على سوء ما صدر منه، ورجح النووي هذا الثاني، وقيل: معنى من يعذرني من ينصرني، وقيل: المراد من ينتقم لي منه وهو كالذي قبله ويؤيده قول سعد أنا أعذرك منه". ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج 8 ص 470؛ وانظر: النووي، المنهاج، مرجع سابق، ج17ص109.

[3] سعد بن معاذ بن النعمان الأنصاري الأوسي، أبو عمرو. أسلم على يد مصعب بن عمير، وكان من أعظم الناس بركة في الإسلام؛ فإنه سبب لإسلام بني عبد الأشهل كلهم، شهد بدرا والخندق، وهو الذي حكّمه النبي صلى الله عليه وسلم في بني قريظة وأصاب في حكمه، رمي يوم الخندق بسهم، عاش شهرا ثم انتقض جرحه فمات، واهتز لموته عرش الرحمن، شيعته الملائكة. ابن عبد البر، **الاستيعاب**، مرجع سابق، ج2 ص602.

" قال عياض: هذا مشكل لم يتكلم فيه أحد وهو قولها:" فقام سعد بن معاذ "، وكانت هذه القصة في غزوة المريسيع وهي غزوة بني المصطلق سنة ست فيما ذكره ابن إسحاق، ومعلوم أن سعد بن معاذ مات في إثر غزوة الخندق من الرمية التي أصابته وذلك سنة أربع بإجماع أصحاب السير". النووي، **المنهاج**، مرجع سابق، ج17 ص 190، " وقال البيهقي: يشبه أن سعدا لم ينفجر جرحه إلا بعد المريسيع". العيني، محمود بن أحمد، **عمدة القاري**، ج17 ص 209.

[4] سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الأنصاري الساعدي، أبو ثابت، كان نقيب بني ساعدة، شهد العقبة وبدرا، وهو صاحب راية الأنصار في المشاهد كلها، جوادا، وجيها ذا رياسة وسيادة في الأنصار، مات بحوران في أرض الشام سنة خمس عشرة، وقيل: سنة أربع عشرة، وقيل: بل مات سنة إحدى عشرة. المرجع السابق، ج2 ص 594.

[5] أي استخفته وأغضبته. النووي، **المنهاج**، مرجع سابق، ج17 ص 110.

[6] أسيد بن حضير بن سماك الأنصاري الأوسي، أبو يحي، وقيل: أبو عيسى كناه به النبي صلى الله عليه وسلم. أسلم بعد العقبة الأولى وشهد العقبة الثانية وكان نقيبا لبني عبد الأشهل، شهد أحدا وما بعدها من المشاهد، وشهد فتح بيت المقدس مع عمررضي الله عنه، كان من أحسن الناس صوتا بالقرآن، وهو أحد عقلاء الرأي. وكان أبو بكر الصديق يكرمه، توفي في شعبان سنة عشرين. ابن عبد البر، **الاستيعاب**، مرجع سابق، ج1 ص 92.

[7] "قال المازري: وقع منه ذلك على جهة الغيظ والحَنق والمبالغة في زجر سعد بن عبادة عن المجادلة عن ابن أُبي وغيره، ولم يرد النفاق الذي هو إظهار الإيمان وإبطان الكفر". ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج 8ص 474.

فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، فَجَلَسَ –وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مِنْ يَوْمِ قِيلَ فِيَّ مَا قِيلَ قَبْلَهَا–، وَقَدْ مَكَثَ شَهْرًا لاَ يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي شَيْءٌ، قَالَتْ: فَتَشَهَّدَ ثُمَّ قَالَ: **(يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً، فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ العَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ، ثُمَّ تَابَ؛ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ)**، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَقَالَتَهُ، قَلَصَ دَمْعِي[1] حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً، وَقُلْتُ لِأَبِي: أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِيمَا قَالَ، قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، قَالَتْ: وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، لاَ أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ القُرْآنِ، فَقُلْتُ: إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ سَمِعْتُمْ مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ، وَوَقَرَ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، وَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنِّي لَبَرِيئَةٌ لاَ تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُنِّي، وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا، إِلَّا أَبَا يُوسُفَ إِذْ قَالَ ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: 18]، ثُمَّ تَحَوَّلْتُ عَلَى فِرَاشِي وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يُبَرِّئَنِي اللَّهُ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا ظَنَنْتُ أَنْ يُنْزِلَ فِي شَأْنِي وَحْيًا، وَلَأَنَا أَحْقَرُ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يُتَكَلَّمَ بِالقُرْآنِ فِي أَمْرِي، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِصلى الله عليه وسلم فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ، فَوَاللَّهِ مَا رَامَ مَجْلِسَهُ[2] وَلاَ خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ البَيْتِ، حَتَّى أُنْزِلَ عَلَيْهِ الوَحْيُ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ البُرَحَاءِ[3]، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الجُمَانِ[4] مِنَ العَرَقِ فِي يَوْمٍ شَاتٍ، فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا، أَنْ قَالَ لِي: **(يَا عَائِشَةُ احْمَدِي اللَّهَ، فَقَدْ بَرَّأَكِ اللَّهُ)**، فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، فَقُلْتُ: لاَ وَاللَّهِ، لاَ أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلاَ أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ**﴾ الآيَاتِ، فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ هَذَا فِي بَرَاءَتِي، قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ صلى الله عليه وسلم –وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ–: وَاللَّهِ لاَ أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ مَا قَالَ لِعَائِشَةَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ **وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ** ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿**وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [النور:22] فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ الَّذِي كَانَ يُجْرِي عَلَيْهِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم

---

[1] قَلَص دمعي: ارتفع؛ أي استمسك عن النزول. ابن بطال، علي بن خلف، **شرح صحيح البخاري**، ج 8 ص 44.

[2] ما رام مجلسه: ما برح المجلس ولا قام عنه، يقال: رامه يرمه ريما، أي: برحه ولازمه. العيني، **عمدة القاري**، مرجع سابق، ج13 ص 233.

[3] البُرحاء: من البرح، وهي: شدة الحمى وغيرها من الشدائد، وقيل: البرح: شدة الحر، وقال الخطابي: شدة الكرب، مأخوذ من قولك: برحت بالرجل إذا بلغت به غاية الأذى والمشقة. **المرجع السابق** الموضع نفسه.

[4] الجمان: حبوب فضة صبغت على مثال اللؤلؤ. قال ابن دريد: وقد تسمى اللؤلؤ جماناً، فسمي هاهنا ما يقطر من العرق جماناً لشبهه بها، وشبهه باللؤلؤ. القاضي، عياض بن موسى، **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، ج8ص486.

يَسْأَلُ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ[1] عَنْ أَمْرِي، فَقَالَ: (**يَا زَيْنَبُ، مَا عَلِمْتِ مَا رَأَيْتِ**)، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلَّا خَيْرًا، قَالَتْ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي[2]، فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالوَرَعِ، وَطَفِقَتْ أُخْتُهَا حَمْنَةُ[3] تُحَارِبُ لَهَا، فَهَلَكَتْ فِيمَنْ هَلَكَ مِنْ أَصْحَابِ الإِفْكِ"[4].

وعَنْ عروة أن عائشة –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا– حَدَّثَتْهُ بِحَدِيثِ الْإِفْكِ، وَقَالَتْ فِيهِ:" وَكَانَ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ[5] حِينَ أَخْبَرَتْهُ امْرَأَتُهُ[6] وَقَالَتْ: يَا أَبَا أَيُّوبَ أَلَمْ تسمع بما تحدث النَّاسُ؟ قَالَ: وَمَا يَتَحَدَّثُونَ؟ فَأَخْبَرَتْهُ بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ، فَقَالَ: مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سبحانك هذا بهذا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ، قَالَتْ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ – عَزَّ وَجَلَّ – ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [النور :16]"[7].

المبحث الثالث

القيم الخلقية وأساليب تنميتها في حادثة الإفك.

---

[1] زينب بنت جحش، أسدية من أسد بن خزيمة، زوج النبي. صلى الله عليه وسلم أمها أميمة بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم ،من المهاجرات، تزوجها زيد بن حارثة مولى الرسول فلما طلقها وانتهت عدتها تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بأمر الله سنة ثلاث وقيل: خمس. كانت أولً نساء النبي صلى الله عليه وسلم وفاة بعده، قالت عائشة: ما رأيت امرأة قط خيرا في الدين من زينب وأتقى لله وأصدق حديثا وأوصل للرحم وأعظم صدقه. توفيت سنة عشرين في خلافة عمر. ابن عبد البر، **الاستيعاب**، مرجع سابق، ج4 ص1843.

[2] تساميني: تعاليني وتفاخرني، وهو مفاعلة من السمو: أي تطاولني في الحظوة عنده. ابن الأثير، **النهاية**، مرجع سابق، ج2 ص 405.

[3] حمنة بنت جحش، أم حبيبة، زوج مصعب بن عمير، قتل عنها يوم أحد فتزوجها طلحة بن عبيد الله. روت عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنها ابنها عمران بن طلحة، كانت ممن قال في الإفك حمية لأختها زينب، من المهاجرات، شهدت أحدا. ابن عبد البر، **الاستيعاب**، مرجع سابق،ج٤ص1813.

[4] أخرجه البخاري في **صحيحه**، ح رقم (٢661) وح رقم (4141) وح رقم (4750) واللفظ له، وأخرجه مسلم في صحيحه، ح رقم (2770/56).

[5] هو خالد بن زيد بن كليب الأنصاري النجاري، غلبت عليه كنيته. شهد العقبة وبدرا وسائر المشاهد، وعليه نزل النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة مهاجرا، فلم يزل عنده حتى بنى مسجده وبنى مساكنه ثم انتقل صلى الله عليه وسلم إلى مسكنه. آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين مصعب بن عميررضي الله عنه، وشهد مع عليرضي الله عنه حروبه كلها، ثم توفي بالقسطنطينية زمن معاويةرضي الله عنه (52ه). ابن الأثير، محمد بن محمد، **أسد الغابة**، ج2 ص 121.

[6] امراته هي أم أيوب الأنصارية، وهي ابنة قيس بن سعيد بن عمرو من الخزرج. المرجع السابق، ج7 ص 291.

[7] أخرجه الواحدي في أسباب النزول، ص 323، وأبو بكر الآجري في طرق حديث الإفك كما في فتح الباري، ج13ص 344، والطبري في جامع البيان، ج17ص٢١٢، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم، ج 8ص ٢٥٤٦-٢٥٤٧. كلهم من طريق عطاء به. قال محقق أسباب النزول:" وإسناده ضعيف بسبب عطاء وقد عنعن (تقريب التهذيب: 23/2 – رقم: 199)". وحسن إسناده نبيل الكويتي في أنِيسُ السَّاري في تخريج وَتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحَافظ ابن حَجر العسقلاني في فَتح البَاري، ج11 ص 1067.

ويشهد لهذا الحديث ما أخرجه البخاري في صحيحه معلقا في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قوله تعالى:(وأمرهم شورى بينهم) ج9 ص113 قال: "وقال رجل من الأنصار (ما يكون لنا أن نتكلمّ بهذا سبحانك هذاّ بهتان عظيم)".

كانت حادثة الإفك ولازالت موطنا عظيما لكثير من القيم التي يجب أن يستلهمها المؤمن ويعمل على غرسها في نفسه ومجتمعه لاسيما وأنها حادثة وقعت لخير العباد وفي خير المجتمعات. ومن أهم القيم التي يمكن استنباطها القيم الخُلقية والتي لها دور كبير في تزكية النفس وإصلاحها؛ ومن هذه القيم:

- **حفظ الجوارح:**

وحفظ اللسان في مقدم الجوارح التي يجب على المؤمن حفظها عبادة لله تعالى؛ فإن كل ما يتفوه به العبد محاسب عليه، قال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق:18] بل إن حفظ اللسان من لوازم الإيمان، ففي الحديث: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ)[1]، وقد ضمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة لمن حفظ لسانه وفرجه فقال: (مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ)، وفي حديث معاذ بين النبيصلى الله عليه وسلم أن جماع أبواب الخير حفظ اللسان وأكثر ما يورد النار إطلاقه فقال: (أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟) قُلْتُ: بَلَى، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، فَقَالَ: (تَكُفُّ عَلَيْكَ هَذَا) قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قَالَ: (ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ وَهَلْ يُكِبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ، إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟)[2].

فآيات الإفك كلها – 10 آيات–نزلت في شأن ما قيل في عرض السيدة عائشة –رضي الله عنها– من البهتان والفرية والكذب؛ فأنزل الله براءتها من فوق سبع سماوات، وبين عِظَم ما فعلوه؛ فقولهم باطل وكلامهم بلا علم، وكلاهما منهي عنه، وكان ذلك مما يستوجب عذابهم لولا فضل الله. قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾[14، 15].

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ إذ يرويه بعضكم عن بعض ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم﴾ بألسنتكم ﴿مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾ من غير أن تعلموا أن الذي قلتم من القذف حق "[3]، "والأمران محظوران التكلم بالباطل، والقول بلا علم﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا﴾ فلذلك أقدم عليه من أقدم من المؤمنين الذين تابوا منه، وتطهروا بعد ذلك، ﴿وَهُوَ عِندَ اللَّهِ

---

[1] أخرجه البخاري في **صحيحه**، ح رقم (6018)، ومسلم في **صحيحه**، ح رقم (74/ 47)

[2] أخرجه أحمد في **مسنده**، ح رقم (22016)، قال الأرنؤوط محقق المسند:" صحيح بطرقه وشواهده، وهذا إسناد منقطع". وأخرجه الترمذي في **سننه**، ح رقم (2616) وقال: " حديث حسن صحيح"، وابن ماجة في **سننه**، ح رقم (3937). وصححه الألباني في **السلسلة الصحيحة** برقم (3284).

[3] مقاتل، **تفسير مقاتل**، ج3 ص 190-191.

عَظِيمٌ﴾ وهذا فيه الزجر البليغ، عن تعاطي بعض الذنوب على وجه التهاون بها، فإن العبد لا يفيده حسبانه شيئا، ولا يخفف من عقوبة الذنب، بل يضاعف الذنب، ويسهل عليه مواقعته مرة أخرى"[1].

وقد ظهر إعجاز الكتاب في هذا التصوير البليغ لتداول الباطل على الألسنة؛ إنها مجرد كلمات تتلقفها الألسنة في عجالة دون تثبت أو يقين، لكنها وجدت من الناس آذانا صاغية، ونفوسا مستجيبة لها؛ فانطلقت بينهم دون أن يديرها عقل.

وما هكذا ينبغي أن يفعلوا لاسيما لو كان المتهم هو زوجة نبي كريم لقد كان الأولى بهم أن يحفظوا ألسنتهم وكذلك يحفظوا أسماعهم وأبصارهم أن تشهد بالباطل كما كان شأن أم المؤمنين زينب- رضي الله عنها- ففي حديث الإفك: و"كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَسْأَلُ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي، فَقَالَ: **(يَا زَيْنَبُ، مَا عَلِمْتِ مَا رَأَيْتِ)**، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلَّا خَيْرًا، قَالَتْ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي، فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالوَرَعِ". و"فيه المحافظة على الدين ومجانبة الزور"[2].

وفي موقف أبي أيوب لما حدثته زوجه بما يقول الناس عن أم المؤمنين إرشاد لما ينبغي فعله عند سماع الشائعات وتعليم لكيفية حماية الأسماع والألسنة عن الباطل، ففي حديث الإفك عن عروة عن عائشة -رضي الله عنها-:" وَكَانَ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ حِينَ أَخْبَرَتْهُ امْرَأَتُهُ وَقَالَتْ: يَا أَبَا أَيُّوبَ أَلَمْ تسمع بما تحدث النَّاسُ؟ قَالَ: وَمَا يَتَحَدَّثُونَ؟ فَأَخْبَرَتْهُ بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ، فَقَالَ: مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سبحانك هذا بهذا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ، قَالَتْ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [النور :16]"[3]

هذا هو الواجب على المؤمن؛ أن ينزه الله أن يقع مثل هذا من زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، ولهذا قال: (سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ). وتأمل كيف جاء التسبيح المتضمن تنزيه الله -عز وجل-، إذ أنه لا يليق بحكمة الله ورحمته وفضله وإحسانه أن يقع مثل هذا من زوج نبي كريم[4]. وقد نزل القرآن الكريم بذات كلمات أبي أيوب فما أعظمه من تأييد، وما أحسنه من إرشاد.

ومما يظهر قيمة صون اللسان عما لا ينبغي ولا يليق ما امتدحت به أم المؤمنين صفوان رضي الله عنه في حديث الإفك إذ قالت:" وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش، فأصبح عند منزلي، فرأى

---

[1] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، مرجع سابق، ص 563.

[2] لاشين، موسى شاهين، **فتح المنعم شرح صحيح مسلم**، ج10 ص 368.

[3] **سبق تخريجه**.

[4] انظر: القرطبي، أحمد بن عمر، **المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم**، ج7 ص 377.

سواد إنسان نائم، فعرفني حين رآني، وكان رآني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي، والله ما تكلمنا بكلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه "[1].

قال عياض:" أي استيقظت بقوله: إنا لله وإنا إليه راجعون، وهذا من صفوان لمعنيين: أحدهما: أنها مصيبة يجب الاسترجاع فيها؛ لنسيان امرأة عورة وبقائها منفردة في قفر وليل مظلم. والثاني: ليقيمها استرجاعه من نومها؛ إذ صان حرمة النبي صلى الله عليه وسلم عن أن يناديها ويكلمها"[2]؛ وذلك منه مبالغة في الأدب وإعظاما لها وإجلالا[3].

وحماية السمع والبصر وغيرهما مما امتن الله به على العباد هو واجب الشكر لله عليها، قال –عز شأنه– ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾ [النحل: 78].

– **العفو والصفح:**

من القيم الجميلة التي تضمنتها حادثة الإفك العفو والصفح: و**العفو** هو: التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه[4] .**والصفح:** هو التجاوز عن الذنب، وقيل: ترك المؤاخذة بالذنب[5]. وقيل: إزالة أثر الذنب من النفس[6]، وقيل: ترك التثريب[7].

وفي **الفرق بينهما** – عند من فرّق– قال الراغب: "الصَّفْحُ: تركُ التّثريب، وهو أبلغ من العفو، ..... وقد يعفو الإنسان ولا يَصْفَحُ"[8].وقال البيضاوي:" العفو ترك عقوبة المذنب، والصفح ترك تثريبه"[9]. وقال القرطبي: "العفو: ترك المؤاخذة بالذنب. والصفح: إزالة أثره من النفس"[10].

---

[1] **سبق تخريجه**.

[2] القاضي، **إكمال المعلم**، مرجع سابق، ج8ص289.

[3] ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج8 ص 463.

[4] المباركفوري، محمد عبد الرحمن، **تحفة الأحوذي**، ج1 ص 440.

[5] العسكري، الحسن بن عبد الله، **الفروق اللغوية**، ص 236.

[6] القرطبي، محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن**، ج2 ص 170.

[7] الراغب، **المفردات**، مرجع سابق، ص 486.

[8] **المرجع السابق** الموضع نفسه.

[9] البيضاوي، عبد الله بن عمر، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج1 ص 100.

[10] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج2 ص 170.

وقد أمر الله أبا بكررضي الله عنه بهذا الخلق الجميل لما حلف أن يعاقب مسطح على خوضه في عرض أم المؤمنين؛ فيمنع عنه النفقة ففي حديث الإفك: "...قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ صلى الله عليه وسلم -وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ-: وَاللَّهِ لاَ أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ مَا قَالَ لِعَائِشَةَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور:22] فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ الَّذِي كَانَ يُجْرِي عَلَيْهِ "[1].

فرغم مرارة الموقف على أبي بكررضي الله عنه إلا أن الله وجهه لما هو خير من الانتصار لنفسه وعرضه؛ الصفح والعفو، وجاءت الآيات حاضة عليه بالترغيب فيما هو أحب وهو مغفرة الله الأكرم؛ فاعفوا يُعفى عنك، واصفح يُصفح عنك؛ فإن الجزاء من جنس العمل؛ ولذلك سرعان ما استجاب الصديق رضي الله عنه لأمر الله؛ فقال: "وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ الَّذِي كَانَ يُجْرِي عَلَيْهِ".

قال القاسمي: " جاء هذا كالتأنيس له والحضّ على إتمام مكارم الأخلاق، وإدامتها، بالإنفاق على قريبه المتصف بالمسكنة والهجرة. ولم يكن ذلك واجبا على أبي بكر. ولكن أحبّ الله له معالي الأخلاق"[2].

- **الاعتراف لأهل الفضل بالفضل:**

وأعظم فضل أقرته آيات حادثة الإفك هو لله تعالى؛ مما يوجب على المؤمنين الاعتراف به وشكره عليه سبحانه؛ وقد ورد ذلك في موطنين؛ الأول منهما قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ[3] فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [النور:14]، والمعنى:"(وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) أيها الخائضون في أمر عائشة، المشِيعُون فيها الكذب والإثم، بتركه تعجيل عقوبتكم (وَرَحْمَتُهُ) إياكم لعفوه عنكم (فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ) بقبول توبتكم مما كان منكم في ذلك؛ (لَمَسَّكُمْ فِيمَا) خضتم فيه من أمرها عاجلا في الدنيا (عَذَابٌ عَظِيمٌ)"[4].

أما الموطن الثاني ففي قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [النور:20]. والمعنى:"(لولا فضل الله) قد أحاط بكم من كل جانب، (وَرَحْمَتُهُ) عليكم، (وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) لما

---

[1] **سبق تخريجه.**

[2] القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد، **محاسن التأويل**، ج1 ص 78.

[3] لمسكم فيما أفضتم فيه: أي لأصابكم فيما قلتم وخضتم فيه من القذف. انظر: مقاتل بن سليمان، **تفسير مقاتل**، ج3 ص 190، والسمعاني، **تفسير القرآن**، مرجع سابق، ج3ص511.

[4] الطبري، **جامع البيان**، مرجع سابق، ج19 ص 130.

بيّن لكم هذه الأحكام والمواعظ، والحِكم الجليلة، ولما أمهل من خالف أمره، ولكن فضله ورحمته، وأن ذلك وصفه اللازم آثر لكم من الخير الدنيوي والأخروي، ما لن تحصوه، أو تعدوه"[1].

وفي الآيات تنويه بفضل أبي بكر فقد قال الله تعالى في ترغيبه في العفو عن مسطح: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور :22]." قال ابن عباس: قال الله لأبي بكر: قد جعلت فيك يا أبا بكر الفضل والمعرفة بالله وصلة الرحم، وعندك السعة، فتعطّف على مسطح، فله قرابة، وله هجرة، وله مسكنة"[2].

وتظهر قيمة الاعتراف بالفضل لأهله جلية في موقف أم المؤمنين من مسطحرضي الله عنه ففي حديث الإفك:" ...فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ بِنْتُ أَبِي رُهْمٍ نَمْشِي، فَعَثَرَتْ فِي مِرْطِهَا، فَقَالَتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ، فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتِ، أَتَسُبِّينَ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا، فَقَالَتْ: يَا هَنْتَاهْ، أَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالُوا؟ فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الإِفْكِ"[3].

فإن أم المؤمنين أنكرت سب أم مسطح لابنها لما له من فضل المشاركة في غزوة بدر الكبرى، و" فيه فضيلة من شهد بدرًا من المسلمين، وأن الدعاء عليهم وجفاء الكلمة فيهم مما يجب أن يُنكر، كما أنكرته أم المؤمنين على أم مسطح في ابنها مع ما للأبوين من المقال مما ليس لغيرهما"[4].

ومما يعد اعترافا بالفضل ما قالته أم عائشة لها- رضي الله عنهما- لما قال النبيصلى الله عليه وسلم : " (**يَا عَائِشَةُ احْمَدِي اللَّهَ، فَقَدْ بَرَّأَكِ اللَّهُ**)، فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم "[5]. معناه "قومي فاحمديه وقبلي رأسه واشكريه لنعمة الله تعالى التي بشرك".[6]وهذا من أمها- رضي الله عنها – اعتراف بفضل النبيصلى الله عليه وسلم الذي جاءها مبشرا، واعتراف بمكانته كنبي يوحى إليه وزوج همه أمرها.

وفي جواب أم المؤمنين اعتراف بفضل الله تعالى عليها أولا وآخرا الذي أنزل براءاتها:" فَقُلْتُ: لاَ وَاللَّهِ، لاَ أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلاَ أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ".[7] وقد اعتذر العلماء عن قول عائشةرضي الله عنه هذا في حق رسول اللهصلى الله

---

[1] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، مرجع سابق، ص 563

[2] الواحدي، علي بن أحمد، **الوسيط**، ج3 ص 313.

[3] **سبق تخريجه**.

[4] ابن الملقن، **التوضيح**، مرجع سابق، ج16 ص 589.

[5] **سبق تخريجه**.

[6] النووي، **المنهاج**، مرجع سابق، ج17 ص 112.

[7] **سبق تخريجه**.

عليه وسلم بأن ذلك من باب الدلال عليه، ومعاتبة لكونهم شكوا في حالها مع علمهم بحسن فعالها وبعدها عن هذا الباطل الذي افتراه عليها الظالمون.[1]

- **الصدق:**

الصدق في الأقوال والأفعال قيمة عظيمة، وعبادة واجبة؛ وهو أكثر وجوبا في مقام الشهادة. وحادثة الإفك أرشدت إلى الصدق في هذا المقام العظيم من خلال استدعاء النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه ﷺ للشهادة على أم المؤمنين عائشة، وكلهم صدق؛ ففي حديث الإفك: " فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الوَحْيُ، يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، فَأَمَّا أُسَامَةُ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الوُدِّ لَهُمْ، فَقَالَ أُسَامَةُ: أَهْلُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلاَ نَعْلَمُ وَاللَّهِ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَسَلِ الجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَرِيرَةَ، فَقَالَ: (يَا بَرِيرَةُ هَلْ رَأَيْتِ فِيهَا شَيْئًا يَرِيبُكِ؟)، فَقَالَتْ بَرِيرَةُ: لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، إِنْ رَأَيْتُ مِنْهَا أَمْرًا أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا قَطُّ، أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنِ العَجِينِ، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ"[2].

وتتجلى معاني الصدق عند الشهادة أكثر وأكثر في موقف ضرتها التي تساميها في الحظوة عند رسول الله- زينب رضي الله عنها- فجاء في حديث الإفك: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَسْأَلُ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي، فَقَالَ: (**يَا زَيْنَبُ، مَا عَلِمْتِ مَا رَأَيْتِ**)، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلَّا خَيْرًا، قَالَتْ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي، فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالوَرَعِ".

لقد كان صدقها -رضي الله عنها- عاصما لها من الزور وغمط الحق، مظهرا تقواها وورعها على خلاف أختها حمنة- رضي الله عنها- التي خاضت في عرض أم المؤمنين- رضي الله عنها- انتصارا لأختها وحمية لها، فهلكت. ففي حديث الإفك: "وَطَفِقَتْ أُخْتُهَا حَمْنَةُ تُحَارِبُ لَهَا، فَهَلَكَتْ فِيمَنْ هَلَكَ مِنْ أَصْحَابِ الإِفْكِ"[3]. أي: حُدّت حدّ القذف فيمَن حُدّ أو أثمت فيمَن أثم[4].

وصدق الأفعال أيضا نجده في هذه الحادثة العظيمة؛ فإن أبا بكررضي الله عنه لما رغبه الله في العفو عن مسطحرضي الله عنه بمقابل أن يغفر له سبحانه، صدق مع الله في أنه استجاب لأمر ربه؛ وعفا حقا عن مسطح، وأثبت عفوه بأن أعاد إليه النفقة، لا يقطعها أبدا. جاء في حديث الإفك:" قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ صلى الله عليه

---

[1] انظر: النووي، **المنهاج**، ج 17 ص 112؛ العراقي، **طرح التثريب**، مرجع سابق، ج8 ص 70.

[2] **سبق تخريجه.**

[3] **سبق تخريجه.**

[4] العراقي، عبد الرحيم بن الحسين، **طرح التثريب**، مرجع سابق، ج8 ص71.

وسلم –وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ–: وَاللَّهِ لاَ أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ مَا قَالَ لِعَائِشَةَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور:22] فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ الَّذِي كَانَ يُجْرِي عَلَيْهِ"[1].

ومن واجب المؤمن الثبات على الصدق في قوله وفعله والصبر على ذلك مهما كلفه الأمر، وهذا ما قامت به أم المؤمنين– رضي الله عنها– في حادثة الإفك التي ابتليت بها؛حيث قالت:" إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ سَمِعْتُمْ مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ، وَوَقَرَ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، وَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنِّي لَبَرِيئَةٌ لاَ تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُنِّي، وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا، إِلَّا أَبَا يُوسُفَ إِذْ قَالَ ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: 18]"[2].قال القاضي عياض:" وفيه أنه لا يجب لأحد أن يعترف على نفسه بما لم يفعله، وإن عَلم أنه في إنكاره يُكَذب وفي اعترافه يُصَدق؛ لقرينة تدل على ذلك، بل لا يجب أن يقول إلا الحق".[3]

– **التواضع:**

وهذه قيمة عظيمة أخرى نلمسها في حادثة الإفك في قول أم المؤمنين –رضي الله عنها–:" ثُمَّ تَحَوَّلْتُ عَلَى فِرَاشِي وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يُبَرِّئَنِي اللَّهُ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا ظَنَنْتُ أَنْ يُنْزِلَ فِي شَأْنِي وَحْيًا، وَلَأَنَا أَحْقَرُ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يُتَكَلَّمَ بِالقُرْآنِ فِي أَمْرِي، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ"[4].

فكان أن كافأها الله على تواضعها بعلو شأنها إلى يوم القيامة لما برأها بآيات تتلى، فقد قالت– رضي الله عنها–:" فَوَاللَّهِ مَا رَامَ مَجْلِسَهُ وَلاَ خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ البَيْتِ، حَتَّى أُنْزِلَ عَلَيْهِ الوَحْيُ .....فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا، أَنْ قَالَ لِي: (يَا عَائِشَةُ احْمَدِي اللَّهَ، فَقَدْ بَرَّأَكِ اللَّهُ)"[5].

---

[1] **سبق تخريجه.**

[2] سبق تخريجه.

[3] القاضي، **إكمال المعلم**، مرجع سابق، ج8 ص 299.

[4] سبق تخريجه.

[5] سبق تخريجه.

وهكذا ينبغي للمؤمن أن لا يعظم نفسه أو يزكيها بل يتواضع؛ فإن أم المؤمنين مع مكانتها العظيمة؛ فهي زوجة نبي وابنة صديق لم تستعظم نفسها؛ فغيرها إذا أحق بذلك وأولى. قال ابن رسلان: "وفيه فضيلة احتقار الآدمي نفسه وكسرها والنظر في عيوبها، وإن كان عند الناس معظمًا فلا يغتر بهذا"[1].

- **العفة:**

العفة: حصول حالة للنفس تمتنع بها عن غلبة الشهوة[2].والعفة قيمة عظيمة شرعها الله لعباده قال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور :33]. أي: ليجتهد في طلب العفة[3].

ومن مظاهر العفة في حادثة الإفك ما فعله صفوان بن المعطل رضي الله عنه لما رأى أم المؤمنين – رضي الله عنها– نائمة متخلفة عن الجيش. ففي حديث الإفك: " فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي، وَوَاللَّهِ مَا كَلَّمَنِي كَلِمَةً وَلاَ سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ، حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فَوَطِئَ عَلَى يَدَيْهَا فَرَكِبْتُهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ"[4].

ما أعظمها من عفة منعته من الكلام مع أمه أم المؤمنين بأي نوع من الكلام سوى قول: إنا لله وإنا إليه راجعون. وقد استعمل معها الصمت اكتفاء بقرائن الحال مبالغة منه في الأدب وإعظاما لها وإجلالا كما ذهب إليه أكثر الشراح[5].

كما يدل على العفة فعله بالراحلة " فَوَطِئَ عَلَى يَدَيْهَا فَرَكِبْتُهَا "، قال ابن حجر:" أي ليكون أسهل لركوبها ولا يحتاج إلى مسها عند ركوبها "[6].

ومن مظاهر العفة في الحادثة عفة أم المؤمنين حيث أنها كذلك لم تكلم صفوان رضي الله عنه ويدل عليه ما جاء في بعض ألفاظ الرواية عند البخاري وغيره: " وَوَاللَّهِ مَا تَكَلَّمْنَا بِكَلِمَةٍ"[7]،كما تظهر عفتها في تغطيتها لوجهها لما أحست بصفوان رضي الله عنه ففي حديث الإفك:" فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي، فَخَمَّرْتُ

---

[1] ابن رسلان، أحمد بن حسين، **شرح سنن أبي داود**، ج18 ص 333.

[2] الإبياري، إبراهيم إسماعيل، **الموسوعة القرآنية**، ج 8ص 381.

[3] انظر: **المرجع السابق** الموضع نفسه؛ الراغب، **المفردات**، مرجع سابق، ص 573.

[4] سبق تخريجه.

[5] انظر: ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج 8 ص 463.

[6] **المرجع السابق** الموضع نفسه.

[7] سبق تخريجه.

وَجْهِي بِجِلْبَابِي"[1]، وتظهر أيضا عفتها في استعظامها أن يتكلم الناس في عرضها وهي العفيفة الشريفة أم المؤمنين وزوج النبي الكريم؛ فقد قالت لأمها- رضي الله عنها- حين أخبرتها حديث الناس عنها: "سُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَقَدْ تَحَدَّثُ النَّاسُ بِهَذَا ! "[2].قال ابن حجر:" استغاثت بالله متعجبة من وقوع مثل ذلك في حقها مع براءتها المحققة عندها"[3].

ومما يؤكد عفتها -رضي الله عنها- شهادة أسامة رضي الله عنه، قال:" أَهْلُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلاَ نَعْلَمُ وَاللَّهِ إِلَّا خَيْرًا"[4] أي الزم أهلك؛ فهي العفيفة اللائقة بك[5]، وكذا شهادة جاريتها بريرة- رضي الله عنها- ففي حديث الإفك:" **(يَا بَرِيرَةُ هَلْ رَأَيْتِ فِيهَا شَيْئًا يَرِيبُكِ؟)**، فَقَالَتْ بَرِيرَةُ: لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، إِنْ رَأَيْتُ مِنْهَا أَمْرًا أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا قَطُّ، أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنِ العَجِينِ، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ". وشهادة بريرة بهذا الوصف لحال أم المؤمنين- رضي الله عنهما- دليل براءتها المحضة وأنها غافلة عفيفة؛ لا يمكن أن يكون منها ما تحدث به الناس.

وقد شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعفة أم المؤمنين-رضي الله عنها- وعفة صفوان رضي الله عنه ،وخرج معلنا لها بين الناس، ذاكرا علاماتها؛ فقال: صلى الله عليه وسلم : (مَنْ يَعْذُرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي)[6].

- **حسن الظن:**

حسن الظن قيمة جليلة، وتزداد إجلالا ووجوبا إذا كان في حق الله تعالى، وهو خير ما يعطاه العبد[7]. ويتجلى هذا الخلق في حسن ظن أم المؤمنين بربها حين اتهمها الظالمون ولم يكن لأحد قدرة على نصرتها وإظهار براءتها. لقد كانت واثقة وعلى يقين من براءة الله لها؛ وهذا فعلا ما تم وبأكثر مما توقعته أم المؤمنين حيث أنزل الله في براءتها آيات تتلى إلى يوم القيامة، وكان فضل الله عليها عظيما. ففي حديث الإفك قالت:" قُلْتُ لِأَبِي: أَجِبْ

---

[1] سبق تخريجه.

[2] سبق تخريجه.

[3] ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج8 ص 467.

[4] **سبق تخريجه.**

[5] لاشين، **فتح المنعم**، مرجع سابق، ج 10 ص 364.

[6] **سبق تخريجه.**

[7] قال ابن مسعود: "والله الذي لا إله إلا هو ما أُعطي عبد مؤمن قط شيئًا خيرًا من حسن الظن بالله، والله الذي لا إله إلا هو لا يحسن عبد الظن إلا أعطاه الله الذي ظنه؛ وذلك أن الخير في يديه". أخرجه ابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله. رقم (83).

عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِيمَا قَالَ، قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، قَالَتْ: وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، لاَ أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ القُرْآنِ، فَقُلْتُ: إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ سَمِعْتُمْ مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ، وَوَقَرَ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، وَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنِّي لَبَرِيئَةٌ لاَ تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُنِّي، وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا، إِلَّا أَبَا يُوسُفَ إِذْ قَالَ ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: 18]، ثُمَّ تَحَوَّلْتُ عَلَى فِرَاشِي وَأَنَا **أَرْجُو أَنْ يُبَرِّئَنِي اللَّهُ**، وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا ظَنَنْتُ أَنْ يُنْزِلَ فِي شَأْنِي وَحْيًا، وَلَأَنَا أَحْقَرُ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يُتَكَلَّمَ بِالقُرْآنِ فِي أَمْرِي، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِصلى الله عليه وسلم فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ، فَوَاللَّهِ مَا رَامَ مَجْلِسَهُ وَلاَ خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ البَيْتِ، حَتَّى أُنْزِلَ عَلَيْهِ الوَحْيُ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ البُرَحَاءِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الجُمَانِ مِنَ العَرَقِ فِي يَوْمٍ شَاتٍ، فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا، أَنْ قَالَ لِي: **(يَا عَائِشَةُ احْمَدِي اللَّهَ، فَقَدْ بَرَّأَكِ اللَّهُ)**، فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، فَقُلْتُ: لاَ وَاللَّهِ، لاَ أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلاَ أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ الآيَاتِ"[1].

وحسن الظن بالله، والثقة في عدله وحكمه نجده ماثلا في قول النبيصلى الله عليه وسلم : "**(يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً، فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ)**. والمعنى:" سيظهر الله براءتك من ذلك الإفك قريبًا بوحي ينزله"[2].

ومن حسن الظن الواجب حسن الظن بالمؤمنين؛ ولذلك أرشد الله المؤمنين –الخائضين في عرض أمهم– إليه فقال: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾ [النور:12]، أي كان الواجب على المؤمنين الخائضين حين سمعوا ما سمعوا أن يظنوا ظنا حسنا بأمهاتهم؛ وقيل: بأخوتهم؛ وقيل: بأهل دينهم، وجعلهم كأنفسهم؛ لأن المؤمنين كنفس واحدة[3]،وأن يصرحوا بأن هذا كذب مفترى؛ فإن هذا ما يستوجبه إيمانهم عليهم.

وهذا عينه موقف أبي أيوب رضي الله عنه "فإنَّ أَبَا أَيُّوبَ خَالِدَ بْنَ زَيْدٍ قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ أُمُّ أَيُّوبَ: يَا أَبَا أَيُّوبَ، أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فِي عَائِشَةَ؟ قَالَ بَلَى، وَذَلِكَ الْكَذِبُ، أَكُنْتِ يَا أُمَّ أَيُّوبَ فَاعِلَةً ذَلِكَ؟ قَالَتْ: لَا وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَفْعَلُهُ، قَالَ: فَعَائِشَةُ خَيْرٌ مِنْكِ، قَالَتْ: فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ ذَكَرَ اللَّهُ مَنْ قَالَ مِنْ أَهْلِ الْفَاحِشَةِ مَا

1

[2] الهرري، محمد الأمين بن عبد الله، **الكوكب الوهاج**، ج25 ص 318.

[3] انظر: ابن الجوزي، محمد بن علي، **زاد المسير**، ج3ص 284.

قَالَ وَمِنْ أَهْلِ الْإِفْكِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النور:11]، وَذَلِكَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ وَأَصْحَابُهُ الَّذِينَ قَالُوا مَا قَالُوا، ثُمَّ قَالَ: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾ [النور: 12]، أَيْ فَقَالُوا كَمَا قَالَ أَبُو أَيُّوبَ وَصَاحِبَتُهُ.."[1].

والآية فيها تحضيض على الظن الحسن، ومبالغة في التوبيخ بطريقةِ الالتفاتِ؛ لأن فيها عدول من الخطاب إلى الغيبة، وفيها تصريح بلفظ الإيمان؛ إذ الاشتراك فيه مُقْتَضٍ أَنْ لا يُصَدِّقَ أحدٌ قالةً في أخيه[2].

- **نصرة المظلوم.**

نصرة المظلوم بأخذ حقه من ظالمه قيمة عظيمة، بها يتحقق العدل، وتظهر جليلة في حادثة الإفك في مناصرة سعد رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم ضد من تولى كبر الإفك عبدالله بن أُبي بن سلول، ففي حديث الإفك: **"فقال رسول اللهصلى الله عليه وسلم :(مَنْ يَعْذُرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي)،** فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا وَاللَّهِ أَعْذُرُكَ مِنْهُ إِنْ كَانَ مِنَ الأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا، فَفَعَلْنَا فِيهِ أَمْرَكَ"[3].

فهاهنا النبي صلى الله عليه وسلم يطلب مناصرته، لأن قوله: يعذرني: أي ينصرني، على أحد الأقوال فيه، ورجحه عياض لأنه المعنى الأليق بهذا الموضع[4]، قال ابن حجر:" وقيل: معنى من يعذرني من ينصرني، وقيل: المراد من ينتقم لي منه، وهو كالذي قبله، ويؤيده قول سعد أنا أعذرك منه"[5].

وفي قول سعد: أنا أعذرك منه، دليل على الاستجابة ونصرة النبي صلى الله عليه وسلم ، فإن معناه: أنا انتصر لك منه.

قال العراقي:" قال سعد ما قال نصرا لله ورسوله"[6].

---

[1] أخرجه ابن شبة، عمر النميري في **تاريخ المدينة**، ج1 ص335، والطبري في **جامع البيان**، مرجع سابق، ج 19 ص 129.

[2] الزمخشري، جار الله محمود بن عمرو، **الكشاف**، ج3 ص 218.

[3] **سبق تخريجه.**

[4] القاضي، **إكمال المعلم**، مرجع سابق، ج8 ص 288.

[5] ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج 8 ص 470.

[6] العراقي، **طرح التثريب**، مرجع سابق، ج8 ص 62.

- **الإنصاف:**

من القيم الجليلة التي ترشد إليها حادثة الإفك قيمة الإنصاف وتظهر جلية في موقف سعد بن معاذ لما انتصر للنبي الكريم ممن اتهم عرضه فقال: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا وَاللَّهِ أَعْذُرُكَ مِنْهُ؛ إِنْ كَانَ مِنَ الأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا، فَفَعَلْنَا فِيهِ أَمْرَكَ"[1].

قال العراقي: " انظر إنصافه في تقديمه ذكر قومه الأوس وجزمه بضرب عنقه إن كان منهم، وقوله في الخزرج الذين ليسوا قومه "أمرتنا ففعلنا أمرك". وهذا غاية في الإنصاف"[2].

كما يظهر الإنصاف في معاملة النبيصلى الله عليه وسلم لزوجه – رضي الله عنها–بعد اتهامها وكيف أنه لم يعاملها معاملة المذنب بدليل أنها لم تشعر بما قيل فيها إلا بعد أن أخبرتها أم مسطح –رضي الله عنها– بالأمر. ففي حديث الإفك "وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى الإِفْكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ، فَقَدِمْنَا المَدِينَةَ، فَاشْتَكَيْتُ بِهَا شَهْرًا وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ مِنْ قَوْلِ أَصْحَابِ الإِفْكِ، وَيَرِيبُنِي فِي وَجَعِي، أَنِّي لاَ أَرَى مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَمْرَضُ، إِنَّمَا يَدْخُلُ فَيُسَلِّمُ، ثُمَّ يَقُولُ: (**كَيْفَ تِيكُمْ**؟)، لاَ أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى نَقَهْتُ، فَخَرَجْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ .....فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الإِفْكِ"[3].

كما استنفذ النبي صلى الله عليه وسلم غاية جهده في الإنصاف حين استمع لشهادة الشهود للحكم على زوجه؛ فاستمع لشهادة أسامة وعلي وبريرة –رضي الله عنهم–.

ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى أم المؤمنين الفرصة لتدافع عن نفسها وتتكلم في حضرته وحضرة أبويها بما يبرء ساحتها مستعملة القسم ومستحضرة آيات الكتاب. ففي حديث الإفك :" قُلْتُ لِأَبِي: أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِيمَا قَالَ، قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، قَالَتْ: وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، لاَ أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ القُرْآنِ، فَقُلْتُ: إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ سَمِعْتُمْ مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ، وَوَقَرَ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، وَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنِّي لَبَرِيئَةٌ لاَ تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُنِّي، وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا، إِلَّا أَبَا يُوسُفَ إِذْ قَالَ ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: 18]"[4].

---

[1] **سبق تخريجه.**

[2] العراقي، **طرح التثريب**، مرجع سابق، ج8 ص 62.

[3] **سبق تخريجه.**

[4] **سبق تخريجه.**

ويظهر الإنصاف في تفاوت العقوبة للخائضين بحسب دورهم في الحادثة، قال تعالى: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ " والمعنى: أن قَدْر العقاب يكون مثل قدر الخوض"[1].

وكلما تأملنا هذه الحادثة وجدناها تدل على مزيد من القيم التي تؤكد أنها خير للمؤمنين لا كما حسبوه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ .

- **الصبر:**

إن التخلق بكل ما سبق من قيم يحتاج إلى قوة وعزيمة وصبر؛ فحفظ الجوارح من حفظ اللسان وغض البصر وعفة السمع، وكذا حمل النفس على الصدق والعفة والاعتراف بالفضل لأهله ونصرة المظلوم وإنصاف صاحب الحق كل ذلك لا يكون دون صبر؛ ولذلك تنمي هذه الحادثة خلق الصبر، ولعل أبرز مظاهر الصبر تظهر في موقف أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- حيث:" إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ سَمِعْتُمْ مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ، وَوَقَرَ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، وَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنِّي لَبَرِيئَةٌ لاَ تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُنِّي، وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا، إِلَّا أَبَا يُوسُفَ إِذْ قَالَ ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: 18]"[2]؛ فصبرت على قول الصدق، وصبرت على ما اتهمت به في عرضها حتى أنزل الله براءتها من فوق سبع سماوات.

كما يظهر الصبر جليا في موقف النبي الكريم صلى الله عليه وسلم من الحادثة فصبر على اتهام أحب زوجه إليه حتى أنه لم يحدثها بالتهمة بل عرفت من غيره ولم تجد منه أم المؤمنين إلا اختلافا يسيرا في التعامل معها فقد قالت: "...وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى الإِفْكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيِّ ابْنُ سَلُولَ، فَقَدِمْنَا المَدِينَةَ، فَاشْتَكَيْتُ بِهَا شَهْرًا وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ مِنْ قَوْلِ أَصْحَابِ الإِفْكِ، وَيَرِيبُنِي فِي وَجَعِي، أَنِّي لاَ أَرَى مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَمْرَضُ، إِنَّمَا يَدْخُلُ فَيُسَلِّمُ، ثُمَّ يَقُولُ: (**كَيْفَ تِيكُمْ؟**)، لاَ أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى نَقَهْتُ"[3].

كما صبر الصديق وزوجه على اتهام ابنتهما ولم يجدا ما يقولانه لرسول الله مع وثوقهما ببراءة ابنتهما، بل والأمة جميعا صبرت حيث أن الإفك ابتلاء للمؤمنين باعتبار أنه استهدف لشرف حبيبهم ونبيهم، وأمهم الطاهرة العفيفة، فقد تجرعوا من كأس المرارة شهراً كاملاً ينتظرون الفرج من الله، ومع فرط حبهم لرسول الله ولأهل بيته،

---

[1] ابن عادل، عمر بن علي، **اللباب في علوم الكتاب**، ج 14 ص 320.

[2] **سبق تخريجه.**

[3] **سبق تخريجه.**

ومع أن النبي صلى الله عليه وسلم معهم وبينهم ويرون الألم والهم في عينيه وعلى قسمات جبينه، ومع يقينهم وعلمهم ببراءة أهله، لم يُسجل التأريخ ولا النصوص والآثار أنهم قاموا بأعمال طائشة انفرادية تجاه هؤلاء الذين أشاعوا الفرية، ولم يتشنجوا بخطابات عاطفية انفعالية تجاه من نسجوا المؤامرة وروجوها، فقد سيطر الهدوء عند المسلمين، لقد كانوا صابرين محتسبين ينتظرون الفرج من الله بل وشاركوا في الدفاع عن عرض نبيهم صلى الله عليه وسلم . ولا زالت الأمة إلى اليوم تدافع عن عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكتب المؤلفات في فضائل أم المؤمنين – رضي الله عنها–.

الخاتمة

من أبرز نتائج البحث:

- انطوت حادثة الإفك على قيم خلقية عديدة وعظيمة هي حفظ الجوارح، والعفو والصفح، والاعتراف بالفضل لأهله، والصدق، والتواضع، والعفة، وحسن الظن، ونصرة المظلوم، والإنصاف، والصبر.
- تعد حادثة الإفك درسا عظيما في الأخلاق للمؤمنين في كل مكان وزمان.
- حفظ الأعراض مقصد مهم من مقاصد الدين الإسلامي لما فيها من حفظ الأنساب؛ ولذا شدد على صيانتها وشدد في عقوبتها.
- الطعن في أم المؤمنين طعن في النبوة؛ إذ هي زوجة النبيصلى الله عليه وسلم وحاملة شرفه؛ ولذا وجب تنزيه أم المؤمنين– رضي الله عنها–.
- تنوعت الأساليب في حادثة الإفك بهدف تنمية القيم الخلقية ما بين ترغيب وتحضيض وإنكار، وسؤال وجواب، وغيرها.

توصيات بحثية:

- الاعتناء بدراسة القيم بمختلف أنواعها واستنباطها في ضوء الكتاب والسنة.
- إنشاء كرسي علمي يختص بالقيم.
- تغذية المجتمع المسلم بنماذج وسير يقتدى بها في باب القيم الخلقية لاسيما مع حاجتنا لذلك اليوم.

REFERENCES (المصادر والمراجع)

[1] al-Abyārī, Ibrāhīm ibn Ismā‘īl (al-mutawaffá : 1414h), *al-Mawsū‘ah al-Qur’ānīyah*, (Mu’assasat sijill al-‘Arab, Ṭ bi-dūn, 1405 H).

[2] Ibn al-Athīr, al-Mubārak ibn Muḥammad (al-mutawaffá : 606h), *al-nihāyah fī Gharīb al-ḥadīth wa-al-athar, taḥqīq :* Ṭāhir al-Zāwī wa-Maḥmūd al-Ṭanāḥī, (Bayrūt : al-Maktabah al-‘Ilmīyah, Ṭ bi-dūn, 1399h-1979m).

[3] al-Balkhī, Muqātil ibn Sulaymān*, tafsīr Muqātil, al-muḥaqqiq* : ‘Abd Allāh Maḥmūd Shiḥātah, (Bayrūt : Dār Iḥyā’ al-Turāth, Ṭ1, 1423 H.

[4] al-Jawharī, Ismā‘īl ibn Ḥammād (al-mutawaffá : 393h), al-ṣiḥāḥ Tāj al-lughah wa-ṣiḥāḥ al-‘Arabīyah, al-muḥaqqiq : Aḥmad ‘Aṭṭār, (Bayrūt : Dār al-‘Ilm lil-Malāyīn, ṭ4, 1407h-1987 M).

[5] Ibn Ḥajar, Aḥmad ibn ‘Alī al-‘Asqalānī, *Fatḥ al-Bārī* sharḥ *Ṣaḥīḥ al-Bukhārī,* raqm aḥādīthahu : Muḥammad Fu’ād ‘Abd al-Bāqī, ṣaḥḥaḥahu : Muḥibb al-Dīn al-Khaṭīb, ta‘līqāt : al-‘allāmah ‘Abd al-‘Azīz ibn Bāz, (Bayrūt : Dār al-Ma‘rifah, 1379h).

[6] Khalīfah, ‘Abd al-Laṭīf, *irtiqā’ al-Qayyim (dirāsah nafsīyah),* (al-Kuwayt : ‘Ālam al-Ma‘rifah, al-‘adad 160, 1992m).

[7] al-Rāghib, al-Ḥusayn ibn Muḥammad al-Aṣfahānī (al-mutawaffá : 502h), *al-Mufradāt fī Gharīb al-Qur’ān, al-muḥaqqiq* : Ṣafwān al-Dāwūdī, (dmshq-byrwt : Dār al-Qalam, al-Dār al-Shāmīyah, Ṭ1, 1412 H).

[8] Rif‘at, Sārah Muḥammad, *Ahammīyat al-Qayyim al-akhlāqīyah wa-atharuhā fī binā’ al-fard wa-al-mujtama‘*, (al-Zaqāzīq : Majallat Kullīyat al-Dirāsāt al-Islāmīyah wa-al-‘Arabīyah lil-Banāt, al-‘adad 9).

[9] Zāhir, Ḍiyā’ al-Dīn, *al-Qayyim wa-al-mustaqbal-d‘wh llt’ml-Mustaqbal al-Tarbiyah al-‘Arabīyah*, (Dār Ibn Khaldūn, Ṭ bi-dūn, 1995m).

[10] al-Zajjāj, Ibrāhīm ibn al-sirrī, *ma‘ānī al-Qur’ān wa-i‘rābuh*, al-muḥaqqiq : ‘Abd al-Jalīl Shalabī, (Bayrūt : ‘Ālam al-Kutub, Ṭ1, 1408 H-1988m).

[11] al-Zamakhsharī, Maḥmūd ibn ‘Umar, *al-Kashshāf ‘an ḥaqā’iq ghawāmiḍ al-tanzīl*, (Bayrūt : Dār al-Kitāb al-‘Arabī, Ṭ1, 1407h).

[12] al-Sa‘dī, ‘Abd al-Raḥmān ibn Nāṣir (al-mutawaffá : 1376h), *Taysīr al-Karīm al-Raḥmān fī tafsīr kalām al-Mannān*, al-muḥaqqiq : ‘Abd al-Raḥmān al-Luwayḥiq, (al-Riyāḍ : Mu’assasat al-Risālah, Ṭ1, 1420h-2000 M).

[13] al-Sam‘ānī, Manṣūr ibn Muḥammad*, tafsīr al-Qur’ān, al-muḥaqqiq :* Yāsir ibn Ibrāhīm wghnym ibn ‘Abbās, (al-Riyāḍ : Dār al-waṭan, Ṭ1, 1418h-1997m).

[14] al-Sayyid, Ibrāhīm ‘Abd al-Ṣamad*, Barnāmaj fī Ta‘līm al-Qayyim al-*khuluqīyah li-ṭullāb Kullīyat al-Tarbiyah, (Majallat Dirāsāt fī al-Manāhij wa-ṭuruq al-tadrīs, al-‘adad 70, Māyū, 2001M).

[15] Ibn Shabbah, ‘Umar al-Numayrī, *Tārīkh al-Madīnah*, (al-mutawaffá : 262h), al-muḥaqqiq : Fahīm Muḥammad Shaltūt, (Jiddah : Ṭubi‘a ‘alá nafaqat : al-Sayyid Ḥabīb Maḥmūd Aḥmad, Ṭ bi-dūn, 1399 H).

[16] Ibn ʻĀshūr, Muḥammad al-Ṭāhir ibn Muḥammad, *al-Taḥrīr wa-al-tanwīr*, (Tūnis : al-Dār al-Tūnisīyah lil-Nashr, Ṭ bi-dūn, 1984 H).

[17] ʻAbd al-Ḥamīd, Aḥmad Mukhtār (al-mutawaffá : 1424h*), Muʻjam al-lughah al-ʻArabīyah* al-muʻāṣirah, bi-musāʻadat : farīq ʻamal, (Bayrūt : ʻĀlam al-Kutub, Ṭ1, 1429 H-2008 M.

[18] al-Qāḍī, ʻIyāḍ ibn Mūsá al-Yaḥṣubī, *Ikmāl al-Muʻallim bi-fawāʼid Muslim, al-muḥaqqiq :* D / yḥyá ismāʻīl, (Miṣr : Dār al-Wafāʼ lil-Ṭibāʻah wa-al-Nashr wa-al-Tawzīʻ, Ṭ1, 1419 H-1998 M.

[19] Ibn Qutaybah ʻAbd Allāh ibn Muslim, *Gharīb al-Qurʼān*, taḥqīq : Aḥmad Ṣaqr, (Bayrūt : Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, Ṭ bi-dūn, 1398h-1978m.

[20] Ibn Kathīr, Ismāʻīl ibn ʻUmar, *tafsīr al-Qurʼān al-ʻAẓīm*, al-muḥaqqiq : Muḥammad Ḥusayn, (Bayrūt : Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, Manshūrāt Muḥammad ʻAlī Bayḍūn, Ṭ1, 1419 H).

[21] Lāshīn, Mūsá Shāhīn, *Fatḥ al-Munʻim sharḥ Ṣaḥīḥ Muslim*, (Bayrūt : Dār al-Shurūq, Ṭ1, 1423 H-2002 M).

[22] Marʻī, Aḥmad Muḥammad, *al-Qayyim al-khuluqīyah al-Islāmīyah fī muḥtawá kutub al-Tarbiyah al-Islāmīyah bi-al-marḥalah al-thānawīyah al-ʻĀmmah, Risālat mājistīr, (Banhā : Kullīyat al-Tarbiya*h, Jāmiʻat al-Zaqāzīq, 1995m).

[23] Ibn al-Mulaqqin, ʻUmar ibn ʻAlī (al-mutawaffá : 804h*), al-Tawḍīḥ li-sharḥ al-Jāmiʻ al-ṣaḥīḥ*, al-muḥaqqiq : Dār al-Falāḥ lil-Baḥth al-ʻIlmī wa-taḥqīq al-Turāth, (Dimashq : Dār al-Nawādir, Ṭ1, 1429 H-2008 M).

[24] al-Munāwī, Zayn al-Dīn Muḥammad *al-madʻū bi-ʻAbd al-Raʼūf ibn* Tāj al-ʻārifīn, (al-mutawaffá : 1031h), al-Tawqīf ʻalá muhimmāt al-taʻārīf, (al-Qāhirah : ʻĀlam al-Kutub, Ṭ1, 1410h-1990m).

[25] al-Munāwī, Zayn al-Dīn Muḥammad *al-madʻū bi-ʻAbd al-Raʼūf ibn Tāj al-ʻārifīn (al-mutawaffá* : 1031h), Fayḍ al-qadīr sharḥ al-Jāmiʻ al-Ṣaghīr, (Miṣr : al-Maktabah al-Tijārīyah al-Kubrá, Ṭ1, 1356h).

[26] Ibn manẓūr, Muḥammad ibn *Mukarram (al-mutawaffá : 711h), Lisān al-ʻArab, (Bayrūt* : Dār Ṣādir, ṭ3-1414h).

[27] al-Nawawī, Muḥyī al-Dīn Yaḥyá ibn Sharaf (al-mutawaffá : 676h), al-*Minhāj sharḥ Ṣaḥīḥ Muslim ibn al-Ḥajjāj*, (Bayrūt : Dār Iḥyāʼ al-Turāth al-ʻArabī, ṭ2, 1392h).

[28] al-Hararī, Muḥammad al-Amīn ibn ʻAbd Allāh, *al-Kawkab al-wahhāj sharḥ* Ṣaḥīḥ Muslim, murājaʻat : Lajnat min al-ʻulamāʼ bi-riʼāsat U / D Hāshim Mahdī, (Dār al-Minhāj-Dār Ṭawq al-najāh, Ṭ1, 1430 H-2009 M).